obeikandl.com

الفصل الأول

مِن قِصَصِ الرسول ﷺ والسلفِ الصالحِ في تَدَبُّرِ القُرْآنِ الكَرِيمِ

obeikandl.com

أقرأ عليك وعليك أُنزلَ؟!

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ «اقرأ علي» قلت: يا رسول الله، أقرأ عليك وعليك أُنزلَ؟ قال: نعم، إني أحب أن أسمعه من غيري، فقرأتُ سورةَ النساء، حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾[1]، قال: حسبك الآن؛ فإذا عيناه تَذْرِفَان[2].

وهذا الحديث عن أشرف الخلق ﷺ يعطينا الصورة الأكمل والأمثل للتأثر بالقرآن، وهي حالة من التأثر تشمل القلب والفكر والجوارح بحيث لا يبقى مجال للنفس أن تنشغل بشيء آخر، وفي نفس الوقت يبقى معها الترابط النفسي حاضرًا ولا يخرج بصاحبها عن المألوف.

اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي!

عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَلا قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي

---

(١) النساء: ٤١.

(٢) رواه البخاري (٤٥٨٢)، ومسلم برقم (٨٠٠).

إِبْرَاهِيمَ: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ﴾[1] الآيَةَ، وَقَولَه فِي عِيسَى عليه السلام: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[2] فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي! وَبَكَى، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ - وَرَبُّكَ أَعْلَمُ - فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام فَسَأَلَهُ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ، فَقَالَ اللهُ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلا نَسُوءُكَ[3].

◄ أَزِيزُ الرَّحَى

عن مُطَرِّفٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُصَلِّي وَفِي صَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الرَّحَى مِنَ الْبُكَاءِ[4].

◄ شيبتني هود وأخواتها

قال أبو بكرٍ رضي الله عنه: يا رسول الله؛ قد شِبْتَ! قال: شيبتني هودٌ والواقعةُ والمرسلاتُ وعمَّ يتساءلونَ وإذا الشمسُ كورت[5].

◄ كما نعتهم الله

قال عبد الله بن عروة بن الزبير رضي الله عنهما: قلت لجدتي أسماء بنت أبي بكر: كيف

(١) إبراهيم: ٣٦.
(٢) المائدة: ١١٨.
(٣) صحيح مسلم (١/ ١٣٢).
(٤) صحيح أبي داود (١/ ١٧٠)، وصححه الألباني.
(٥) صحيح وضعيف سنن الترمذي (٧/ ٢٩٧)، وصححه الألباني.

obeikandl.com

كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا سمعوا القرآن؟ قالت: تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم كما نعتهم الله[1].

◄ والله لا أنزعها منه

في قصة الإفكِ التي كان فيمن خاض فيها مِسْطَحُ بن أَثَاثَة، وكانت أمه بنت خالة الصِّدِّيق، وكان مِسْطَحٌ رجلاً فقيرًا، وكان الصديق ينفق عليه، فلما قال ما قاله في عائشة رضي الله عنها، ونزلت الآيات ببراءتها قال أبو بكر: والله لا أنفق على مسطح شيئًا أبدًا بعد الذي قال لعائشة ما قال، فأنزل الله: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2]، قال أبو بكر: بلى، والله إني أحب أن يغفر الله لي. فرجع إلى مِسْطَحٍ النفقةَ التي كان يُنفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبدًا[3].

◄ ابن عباس رضي الله عنه

قال ابن أبي مليكة: صحبت ابن عباس من المدينة إلى مكة، وكان يصلي ركعتين فإذا نزلَ قامَ شطرَ الليلِ يُرتلُ القرآن حرفًا حرفًا، ويكثر في ذلك من النشيج والنحيب، ويقرأ: ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾[4]، ورُوِيَ

(١) شعب الإيمان للبيهقي- (٥/ ٧٢ - ٢٠٠٢)
(٢) النور: ٢٢.
(٣) فتح الباري في شرح صحيح البخاري (٨/ ٤٧٥٠ص ٣٠٦).
(٤) ق: ١٩.

عن شعيب بن درهم قال: كان في هذا المكان - وأومأ إلى مجرى الدموع من خديه يعني خدي ابن عباس - مثل الشراك البالي من البكاء[1].

◄ كان عمر ﷺ وقَّافًا عند كتاب الله

عن عبد الله بن عباس ﷺ قال: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بنُ حِصْن بن حذيفة بن بدر فنزلَ على ابن أخيهِ الحُرِّ بن قَيْس بن حِصْن، وكان من النفر الذين يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، وكان القُرَّاءُ أصحابَ مجلسِ عمر ومشاورتِه؛ كُهُولاً كانوا أو شُبَّانًا، فقالَ عُيَيْنَةُ لابنِ أخيه: يا ابن أخي؛ هل لكَ وجهٌ عندَ هذا الأميرِ فتستأذنَ لي عليه؟ قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذنَ لعُيينةَ؛ فلما دخل قال: يا ابن الخطاب؛ والله ما تعطينا الجَزْل، ولا تحكمُ بيننا بالعَدْل! فغضبَ عمرُ حتى هَمَّ بأن يَقَعَ بِهِ، فقال الحرُّ: يا أميرَ المؤمنينَ؛ إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[2]، وإن هذا من الجاهلين، فوالله ما جاوزها عُمَرُ حين تلاها عليه، وكان وَقَّافًا عند كتابِ الله[3].

◄ مرض الفاروق لسماع آية!

عن هشام بن الحسين قال: كان عمر بن الخطاب يمر بالآية في ورده فتخيفه - وفي بعض الروايات: فتخنقه - فيبكي حتى يَسْقُطَ، ويَلزمُ بيتَه اليوم واليومين

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٥٢)، وانظر كذلك: البداية والنهاية (ج ٨ - ص ٣٣٤)، وتاريخ الإسلام للإمام الذهبي (٥/ ١٥٨).
(٢) الأعراف: ١٩٩.
(٣) صحيح البخاري (٦/ ٢٦٥٧).

حتى يُعاد، ويحسبونه مريضًا[1].

وقد سمع عمر بن الخطاب ﷺ يومًا رجلا يتهجد في الليل ويقرأ سورة الطور، فلما بلغ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾[2]، قال عمر: قسمٌ وربِّ الكعبةِ حقٌّ، ثم رجع إلى منزله فمرض شهرًا يعوده الناس لا يدرون ما مرضه[3].

◄ ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾

كان عمر بن الخطاب ﷺ يعيش القرآن في كل حركاته وسكناته، ومن ذلك أنه مرّ بِدَيْرِ راهبٍ فناداه: يا راهبُ؛ فأشرف، فجعل عمرُ ينظرُ إليه ويبكي، فقيل له: يا أمير المؤمنين؛ ما يبكيك من هذا؟ قال ذكرت قول الله – عز وجل– في كتابه ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾[4] فذاك الذي أبكاني[5].

◄ ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ﴾

عن نافعٍ: كان ابنُ عمرَ إذا قرأ هذه الآية: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[6] يبكي حتى يغلبه البكاء[7].

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي (٢ / ٣٦٤)

(٢) الطول: ٨.

(٣) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار/ لابن رجب الحنبلي (ص ٤٨).

(٤) الغاشية: ٣-٤.

(٥) تفسير القرآن العظيم/ ابن كثير (٤/ ٣٨٥).

(٦) الحديد: ١٦.

(٧) الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ١٨٧).

ورُوِيَ أن الفُضَيْلَ بنَ عِيَاضٍ كان شاطرًا يقطعُ الطريقَ بينَ أبيورد وسرخس، وكان سببُ توبتِهِ أنه عَشِقَ جارية، فبينا هو يرتقي الجدران إليها؛ إذ سمع تاليًا يتلو: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ فلما سمعها قال: بلى يا رب، قد آن، فرجع، فآواه الليل إلى خَرْبَةٍ، فإذا فيها سابلةٌ، فقال بعضهم: نرحل، وقال بعضهم: حتى نُصْبِحَ فإن فضيلا على الطريق يقطعُ علينا، قال: ففكرت وقلت: أنا أسعى بالليل في المعاصي، وقوم من المسلمين ها هنا يخافوني، وما أرى الله ساقني إليهم إلا لأرتدع، اللهم إني قد تبت إليك، وجعلت توبتي مجاورة البيت الحرام[1].

يقول إسحاقُ بن إبراهيمَ عن الفُضَيْلِ بعد ذلك: كانت قراءتُه حزينةً شهيةً بطيئةً مُتَرَسِّلَةً كأنه يخاطبُ إنسانا، وكان إذا مر بآيةٍ فيها ذِكْرُ الجنة يُرَدِّدُ فيها ويسأل[2].

وصار الفُضَيْلُ من جِلَّةِ السلف حتى قال فيه إبراهيم بن الأشعث: ما رأيت أحدًا؛ كان الله في صدره أعظم؛ من الفضيل، كان إذا ذكر الله، أو ذُكِرَ عنده، أو سمع القرآن؛ ظهر به من الخوف والحزن، وفاضت عيناه وبكى حتى يرحمه من بحضرته، وكان دائم الحزن، شديد الفِكْرَةِ، ما رأيت رجلاً يريد الله بِعِلْمِهِ وأَخذِهِ وإعطائِهِ ومنعِهِ وبذلِهِ وبغضِهِ وحبِّهِ وخصالِهِ كُلِّهَا؛ غَيْرَهُ، يعني: الفضيل[3].

(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٢٣).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (ج ٨ - ص ٤٢٨)، حلية الأولياء (٨/ ٨٦)، وصفة الصفوة (٢/ ٢٣٨)، وتاريخ دمشق (٤٨/ ٣٩٦)، وتهذيب الكمال (٢٣/ ٢٩٢).

(٣) حلية الأولياء (٨/ ٨٤).

◄ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

هذا عبد الله بن عمر تدبر قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[1]؛ فكان إذا أعجبه شيءٌ من ماله يقربه إلى الله عز وجل، وكأنَّ عبيدَه قد عرفوا ذلك منه فربما لزم أحدهم المسجد، فإذا رآه ابن عمر على تلك الحال أعتقه، فيقال له: إنهم يخدعونك! فيقول: من خدعنا لله انخدعنا له![2].

وكان له جارية يحبها كثيرًا فأعتقها وزوَّجها لمولاه نافع، وقال: إن الله تعالى يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، واشترى مَرَّةً بعيرًا فأعجبه لما ركبه فقال: يا نافع أدخله في إبل الصدقة.

وأعطاه ابن جعفر في نافعٍ عشرة آلاف فقال: أوَ خيرًا من ذلك! هو حُرٌّ لوجه الله، واشترى مرةً غلامًا بأربعين ألفًا وأعتقه فقال الغلام: يا مولاي قد أعتقتني فهَبْ لي شيئًا أعيش به؛ فأعطاه أربعين ألفًا.

واشترى مرة خمسة عبيد، فقام يصلي فقاموا خلفه يصلون فقال: لمن صليتم هذه الصلاة؟ فقالوا: لله، فقال: أنتم أحرار لمن صليتم له؛ فأعتقهم[3].

◄ عليُّ بنُ الحُسين رضي الله عنهما

وهذا عليُّ بن الحسينِ يتخلق بصفات المتقين في قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ

(١) آل: عمران: ٩٢.
(٢) حلية الأولياء (١/ ٣٧٢).
(٣) البداية والنهاية (٩/ ٦).

﴿يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1]، قال عبد الرزاق: سَكَبَتْ جاريةٌ لِعليٍّ بن الحسين عليه ماءً ليتوضأ؛ فسقطَ الإبريقُ من يدها على وجهه فَشَجَّهُ، فرفع رأسه إليها، فقالت الجارية: إن الله يقول: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ ، فقال: قد كظمت غيظي، قالت: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ فقال: عفا الله عنك، فقالت: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، قال: أنت حُرَّةٌ لوجه الله تعالى!

◄ ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾

عن عبَّاد بنِ حمزة قال: دخلتُ على أسماء رضي الله عنها وهي تقرأ: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾[2]، قال: فوقفت عليها فجَعَلَتْ تستعيذُ وتدعو، قال عبَّاد: فذهبتُ إلى السوق فقضيت حاجتي، ثم رجعتُ وهي تستعيذُ وتدعو[3]!

◄ إني قد أُرضتُ ربي

هذا أبو الدَّحْدَاحِ رضي الله عنه لما نزل قول الله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[4] قال أبو الدَّحْدَاحِ: يا رسول الله: وإن الله يريد منا القرض؟ قال: نعم يا أبا الدَّحْدَاحِ، قال: أرني يدك يا رسول الله! فناوله يده، قال: إني قد أقرضت ربي حائطي (أي بستانه) فيه ستمائة نخلة. وأم الدَّحْدَاحِ فيه وعيالها، فجاء أبو الدَّحْدَاحِ فناداها: يا

(١) آل عمران: ١٣٤.
(٢) الطور: ٢٧.
(٣) مصنف ابن أبي شيبة ٢/ ٢٥ (٦٠٣٧)
(٤) البقرة: ٢٤٥.

أم الدَّحْدَاحِ! أخرجي فقد أقرضته ربي عز وجل، قالت: ربح بيعك يا أبا الدَّحْدَاحِ! ونقلت منه متاعها وصبيانها[1].

◄ إحصاءٌ شديد!

عن البراء بن سليم قال: سمعت نافعًا يقول: ما قرأ ابن عمر هاتين الآيتين قط من آخر سورة البقرة إلا بكى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾[2] ثم يقول: إن هذا لإحصاء شديد[3].

◄ الخوف من العقوبة

عن عِكْرِمَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ قال: جئتُ ابن عباسٍ يوما وهو يبكي، وإذا المصحف في حِجْرِهِ فأعظمتُ أن أدنو منه، ثُم لم أزل على ذلك حتى تقدمتُ فجلستُ، فقلتُ: ما يبكيكَ يا ابن عباس جعلني الله فِدَاكَ؟ فقال: هؤلاء الوَرَقَات، قال: وإذا هو في سورة الأعراف، وذَكَرَ أصحاب السَّبْتِ[4]، ثم قرأ ابن عباس «فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس»، قال: فأرى الذين نَهَوْا قد نَجَوْا، ولا أرى الآخرينَ ذُكِرُوا، ونحن نرى أشياءَ ننكرها ولا نقول فيها. قال: قلت: جعلني الله فداك؛ ألا ترى أنهم قد كَرِهُوا ما هم عليه

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ج٤.

(٢) البقرة: ٢٨٤.

(٣) صفة الصفوة لابن الجوزي (١ - ٢٩٤)

(٤) يعني قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ (الأعراف: ١٦٣).

وخالفوهم وقالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ [1]، قال: فأمر لي فكُسِيتُ ثوبين غليظين[2].

◄ ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾

عن سمير الرياحي عن أبيه قال: شرب عبد الله بن عُمر ماءً مُبَرَّدًا فبكى فاشتد بكاؤه، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: ذَكَرْتُ آيةً في كتاب الله عز وجل: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [3]؛ فعرفتُ أن أهل النار لا يشتهون شيئًا شهوتَهُمُ الماءَ، وقد قال الله عز وجل: ﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [4] [5].

◄ خامس الخلفاء الراشدين

وهذا عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتعايش مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [6]، فقد قيل له وهو على فراش الموت: هؤلاء بنوك - وكانوا اثني عشر - ألا توصي لهم بشيء فإنهم فقراء؟! فقال: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ، والله لا أعطيهم حقَّ أحدٍ، وهم بين رجلين: إما صالح؛ فالله يتولى الصالحين، وإما غير صالح؛ فما كنتُ لأُعِينَهُ على

(١) الأعراف: ١٦٤.
(٢) تفسير القرآن العظيم/ ابن كثير (٢/ ٣٤٢)
(٣) سبأ: ٥٤.
(٤) صفة الصفوة (١ / ٢٩٥)
(٥) الأعراف: ٥٠.
(٦) الأعراف: ١٩٦.

obeikandl.com

فِسْقِهِ، ولا أبالي في أيِّ وادٍ هلك، ولا أدعُ له ما يستعين به على معصية الله فأكونُ شريكَه فيما يعمل بعد الموت، ثم استدعى أولادَه فودَّعهم وعزَّاهم وأوصاهم بهذا الكلام ثم قال: انصرفوا عصمَكم الله وأحسنَ الخلافة عليكم.

قالوا: فلقد رأينا بعض أولاد عمر بن عبد العزيز يَحملُ على ثمانينَ فرسًا في سبيل الله، وكان بعض أولاد سليمانَ بن عبد الملكِ مع كثرةِ ما تركَ لهم من الأموال؛ يتعاطى ويسألُ من أولاد عمر بن عبد العزيز، لأن عمرَ وَكَلَ ولدَهُ إلى الله عز وجل، وسليمانُ وغيرُه إنما يَكِلونَ أولادهم إلى ما يَدَعُونَ لهم من الإرث؛ فَيَضِيعُونَ وتذهبُ أموالُهم في شهوات أولادهم!. لقد عمل عمر بن عبد العزيز في حقّ أبنائه بمضمون الآية الكريمة؛ فعصمَهُم الله سبحانه، وضَمِنَ لهم خير الدنيا والآخرة!

◄ ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾[1]

عن قزعة قال: رأيت على ابن عمر ثيابا خشنة، فقلت له: إني قد أتيتُكَ بثوبٍ لَيِّنٍ مما يُصنع بخُراسان، وتقرُّ عينايَ أن أراه عليك، قال: أرِنِيْهِ؛ فلمسه وقال: أحرير هذا؟ قلتُ: لا، إنه من قطن، قال: إني أخاف أن ألبسه، أخاف أكون مختالا فخورا، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[2].

قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ معلقًا: كل لِبَاسٍ أَوجَدَ في المرءِ خُيَلاء وفخرًا فتركُه مُتَعَيِّنٌ، ولو كان من غير ذهبٍ ولا حرير، فإنا نرى الشاب يلبس الفرجيةَ[3] الصوفُ بفروٍ

(١) الزمر: ٤٧.

(٢) الحديد: ٢٣.

(٣) الفرجية: ثوب واسع طويل الأكمام يتزيا به علماء الدين، انظر: المعجم الوسيط (٢/ ٢٧٠).

مِنْ أثمانِ أربعمائةِ درهمٍ ونحوها، والكبرُ والخيلاءُ على مِشْيَتِهِ ظَاهِرٌ، فإنْ نصحته ولُمْتَهُ بِرِفْقٍ كَابَرَ، وقالَ: ما فيَّ خيلاءٌ ولا فخرٌ، وهذا السَّيِّدُ ابنُ عُمَرَ يَخَافُ ذلكَ علىَ نفسه[1]!

وجاء في ترجمة محمد بن المنكدر أنه كان ذاتَ ليلةٍ قائمًا يُصلي إذِ استبكَى، فكثر بكاؤه حتى فزع له أهله وسألوه، فاستعجم عليهم وتمادى في البكاء، فأرسلوا إلى أبي حازمٍ فجاء إليه، فقال: ما الذي أبكاك؟ قال: مَرَّتْ بي آيةٌ، قال: وما هي؟ قال: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾[2]؛ فبكى أبو حازم معه، فاشتد بكاؤهما.

وجاء عنه أنه جزع عند الموت، فقيل له: لم تجزعُ؟ قال: أخشى آيةً من كتاب الله ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾، فأنا أخشى أن يبدو لي من الله ما لم أكن أحتسب[3]!

قيل لسليمان بن طَرْخَانَ التَّيْمِيِّ البصريِّ: أنتَ أنتَ! ومَنْ مِثْلُكَ؟! قالَ: لا تقولوا هكذا، لا أدري ما يبدو لي من ربي عز وجل، سمعتُ اللهَ يقولُ: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾[4].

روى الخطيب البغدادي بسنده قال: سمعت بكرا العابد يقول: سمعت فضيل ابن عياض يقول في قول الله عز وجل: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾؛

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٣٣ - ٢٣٤).
(٢) الزمر: ٤٧.
(٣) سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٥٥).
(٤) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٠٠).

obeikandl.com

قال: أَتَوْا بأعمالٍ ظنُّوها حسناتٍ فإذا هيَ سيئاتٌ، قالَ: فرأيتُ يحيى بنَ مَعِيْنٍ بَكَى[1].

﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ ﴿ وَٱلطُّورِ ﴾ ، فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾[2]؛ كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ.

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: إِنَّمَا كَانَ انْزِعَاجُهُ عِنْدَ سَمَاعِ هَذِهِ الآيَةِ؛ لِحُسْنِ تَلَقِّيهِ مَعْنَى الآيَةِ، وَمَعرِفَتِهِ بِمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ بَلِيغِ الْحُجَّةِ، فَاسْتَدْرَكَهَا بِلَطِيفِ طَبْعِهِ، وَاسْتَشَفَّ مَعْنَاهَا بِذَكِيِّ فَهْمِهِ[3].

﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾

روى الإمام أحمد: عن قيس بن حازم قال: كان عبد الله بن رواحة واضعا رأسه في حجر امرأته فبكى فبكت امرأته، فقال: مايبكيكِ؟ فقالت: رأيتُك تبكي فبكيتُ، قال: إني ذكرت قول الله: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾[4]، فلا أدري أنجو منها أم لا[5]؟.

---

(١) تاريخ بغداد (١٣/ ٢٦٢).

(٢) الطور: ٣٥-٣٦.

(٣) الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٣٧٤).

(٤) مريم: ٧١.

(٥) تفسير القرآن العظيم/ ابن كثير (٥/ ٢٥٢).

﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾

عن مَنْصُورِ بْنِ عَمَّارٍ قال: حججتُ حجةً؛ فنزلتُ سِكَّةً مِنْ سِكَكِ الكوفة، فخرجتُ في ليلةٍ مظلمةٍ فإذا بصارخٍ يصرخُ في جوفِ الليلِ وهو يقول: إلهي؛ وعزتِك وجلالِك ما أردتُ بمعصيتي مخالفتك، ولكن خطيئة عرضت لي أعانني عليها شقائي، وغرَّنِي سترك المرخى عليَّ، وقد عصيتك بجهدي وخالفتك بجهلي، ولك الحجة عليَّ، فالآن مِن عذابك مَن يستنقذني؟! وبحبلِ مَنْ أتصلُ إذا قطعتَ حبلك عني؟! واشباباه! واشباباه! قال: فلما فرغ من قوله؛ تلوتُ آيةً من كتابِ الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ﴾ [1]، فسمعتُ حركةً شديدةً ثم لم أسمَعْ بعدها حِسًّا فمضيتُ، فلما كانَ من الغَدِ رجعتُ في مدرجتي فإذا جِنَازةٌ قد وُضعت، وإذا بعجوزٍ كبيرة، فسألتها عن أمرِ الميِّتِ - ولم تكن عرفتني - فقالت: هذا رجل - لا جزاه الله إلا جزاءه - مرّ بابني البارحةَ وهو قائمٌ يصلي؛ فتلا آية من كتاب الله، فلما سمعها ابني تفطرت مرارتُه فوقع ميتًا[2].

﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾

جاء في ترجمة الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ أن ابنه صالحًا قال: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: لَقَدْ جَعَلتُ المَيِّتَ[3] فِي حِلٍّ مِنْ ضَربِه إِيَّايَ، ثُمَّ قَالَ: مَرَرْتُ بِهَذِه الآيَةِ: ﴿فَمَنۡ

(١) التحريم: ٦.

(٢) التوابين/ لابن قدامة (ص ٢٨٩).

(٣) يقصد الخليفة المعتصم، إذ ضربه في محنة خلق القرآن الكريم.

عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾[1]؛ فَنَظَرتُ فِي تَفْسِيرِهَا، فَإِذَا هُوَ مَا أَخْبَرَنَا هَاشِمُ بنُ القَاسِمِ، أَخْبَرَنَا المُبَارَكُ بنُ فَضَالَةَ قَالَ: أَخْبَرَنِي مَنْ سَمِعَ الحَسَنَ يَقُولُ: إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ جَثتِ الأُمَمُ كُلُّهَا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ رَبِّ العَالِمِينَ، ثُمَّ نُودِيَ أَنْ لاَ يقومَ إِلاَّ مَنْ أَجرُه عَلَى اللهِ، فَلاَ يَقومُ إِلاَّ مَنْ عَفَا فِي الدُّنْيَا. قَالَ؛ أي ابن حنبل: فَجَعَلتُ المَيِّتَ فِي حِلٍّ، ثُمَّ قَالَ: وَمَا عَلَى رَجُلٍ أَنْ لاَ يُعَذِّبَ اللهُ بِسَبَبِهِ أَحَدًا؟!

◄ قامَ من مَرَضِهِ لسماع آية!

وروى ابن أبي الدنيا من حديث عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال: سمعت عبد الله بن حنظلة يومًا وهو على فراشه وعُدْتُهُ من عِلته، فتلا رجلٌ عنده هذه الآية: ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾[2]؛ فبكى حتى ظننت أن نفسَهُ ستخرجُ، وقال: صاروا بين أطباق النار، ثم قام على رجليه، فقال قائل: يا أبا عبد الرحمن! اقعد، قال: منعني القعودَ ذكرُ جهنم؛ ولَعَلِّي أحدهم[3].

◄ تَمِيْمُ بنُ أَوْسٍ الدَّارِيُّ

وعن مسروقٍ؛ قال: قال لي رجل من أهل مكة: هذا مَقَامُ أَخِيكِ تميمٍ الداريِّ، لقد رأيتُه قامَ ليلةً حتى أصبحَ، أو كادَ أنْ يُصْبِحَ؛ يقرأ آيةً من كتاب الله، فيركعُ ويسجدُ ويبكي: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

(١) الشورى: ٤٠.
(٢) الأعراف: ٤١.
(٣) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار/ لابن رجب الحنبلي (ص ٣٤).

وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[1][2].

◄ محمدُ بنُ كَعْبٍ القُرَظِيُّ

روى أبو نعيم الأصبهانِيِّ قال: سمعتُ محمدَ بنَ كَعْبٍ القُرَظِيَّ يقول: لأن أقرأ في ليلةٍ حتى أصبحَ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾[3]، والقارعة - لا أزيد عليهما، وأتَرَدَّدُ فيهما وأَتَفَكَّرُ - أَحَبُّ إليَّ من أن أهدر القرآن هدرا[4].

◄ الحسن البصري

قال محمد بن جحادة: قلت لأمِّ ولدِ الحسنِ البصري: ما رأيتِ منه؛ أي من الحسنِ البصريِّ، فقالتْ: رأيتُه فتحَ المصحفَ، فرأيتُ عينيه تسيلانِ وشفتاه لا تتحركان[5].

◄ وهل تركَ القرآن فصاحة لأحد ؟!

- قال الأصمعي لصَبِيَّةٍ: ما أفصحك!

- فقالت: يا عَمِّ، وهل تركَ القرآن لأحد فصاحة؛ وفيه آيةٌ فيها خَبرانِ، وأمرانِ، ونهيانِ، وبِشَارَتَانِ!؟.

- فقال: وما هي؟

---

(١) الجاثية: ٢١.

(٢) المعجم الكبير (٢/ ٥٠).

(٣) الزلزلة: ١.

(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣/ ٢١٤).

(٥) شعب الإيمان/ للبيهقي (٢/ ٤١١).

- قالت: قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[1].

- قال الأصمعي: فرجعتُ بفائدةٍ، وكأن تلك الآية ما مرت بمسامعي!.

◄ ما هذا العبث ؟

عن يُونِسَ البَلْخِيِّ قال: كان إبراهيمُ بن أدهمَ من الأشرافِ، وكان أبوه كثير المال والخدم والمراكب والجنائب والبزاة، فبينا إبراهيمُ في الصيد على فرسه يُركِّضُه إذا هو بصوت من فوقه: يا إبراهيم ما هذا العبث؟ ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾[2] اتق الله، عليك بالزاد ليوم الفاقة. فنزل عن دابته وأخذ في عمل الآخرة[3].

◄ المخرج من كل غم

قال ابن الجوزي: ضاقَ بي أمرٌ أوجبَ غمًا لازمًا دائمًا، وأخذتُ أبالغ في الفكر في الخلاص من هذه الهموم بكل حيلة وبكل وجه، فما رأيت طريقاً للخلاص، فعرضت لي هذه الآية: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾[4]، فعلمتُ أن التقوى سببٌ للمخرج من كل غم، فما كان إلا أن هممت بتحقيق التقوى فوجدتُ المخرج[5].

---

(١) القصص: ٧.
(٢) المؤمنون: ١١٥.
(٣) سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٨٨.
(٤) الطلاق: ٢.
(٥) صيد الخاطر (٣٠٣).

﴿وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾

عن إبراهيمَ بن الأَشْعَثِ قال: سمعت فُضَيلاً يقولُ ذات ليلةٍ وهو يقرأ سورةَ محمد، وهو يبكي ويردد هذه الآية: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾ [1]، وجعل يقولُ: ﴿وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾، ويرددُ: وتبلو أخبارَنَا، إن بَلَوْتَ أخبارنا فضحتنا، وهتكت أستارنا! إنك إن بلوت أخبارنا أهلكتنا وعذبتنا! ويبكي [2].

وما ينفعُنِي عَرْضُها ؟!

أخذ أحد الصالحين يبكي لما قرأ قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [3]، فقيل له: لقد أبكتكَ آية ما مِثْلُهَا يُبْكِيْ! إنها جنةٌ عريضةٌ واسعةٌ، فقال: يا ابن أخي؛ وما ينفعُنِي عرضها إن لم يكن لي فيها موضع قدم [4].

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾

عن الحارثِ بن سعيدٍ قال: كنا عند مَالِكِ بنِ دِينَارٍ وعندنا قارئٌ يقرأ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [5] جعل مالكٌ ينتفضُ وأهلُ المجلسِ يبكونَ حتى انتهى إلى

(١) محمد: ٣١.
(٢) التوابين لابن قدامة – ص٢٢٤
(٣) آل: عمران: ١٣٣.
(٤) «صفقات رابحة»؛ خالد أبو شادي، ص ١٤٢
(٥) الزلزلة: ١.

هذه الآية: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [١] فجعل مالكٌ – واللهِ – يبكي ويشهقُ حتى غُشِيَ عليه، فحمل بين القوم مغشيا عليه[٢].

◄ اللهم بلَى !

كان جَعْفَرُ بنُ حَرْبٍ يتقلد كِبَارَ الأعمالِ للسلطان، وكانت وظيفته تقارب وظيفة الوزارة، فاجتاز يوما راكبًا في موكبٍ له عظيمٍ فسمعَ رجلا يقرأ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [٣]؛ فصاح: اللهم بلى، يُكَرِّرُهَا، ثم بَكَى وتابَ ورَدَّ المظالمَ التي كانت عليه، وانقطع للعلم والعبادة حتى مات[٤].

◄ ﴿لَا تُحْصُوهَآ﴾!

كان الحسنُ البَصْرِيُّ رحمه الله يردد في ليلة قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [٥]، فقيل له في ذلك، فقال: إن فيها لُمعتبرًا، ما نرفع طَرْفًا ولا نردُّه إلا وَقَعَ على نعمة، وما لا نعلمه من نعم الله أكثر[٦].

---

(١) الزلزلة: ٨.
(٢) صفة الصفوة (٣/ ٧١).
(٣) الحديد: ١٧.
(٤) صفة الصفوة (٣/ ٣٩).
(٥) إبراهيم: ٣٤، والنحل: ١٨.
(٦) رهبان الليل/ سيد العفاني (٢/ ٧٣).

◄ اتق الله !!

خرج هارونُ الرشيدُ يومًا من مجلس الإمارة فاعترضه يهوديٌّ وقال له: اتق الله، فنزل هارون من على دابته وسجد على الأرض، فقال له أتباعه: إنه يهودي، قال هارون: اتق الله! ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾[1][2].

◄ فأين القرآن إذًا ؟

وها هوَ الإمامُ أحمدُ -عليه رحمةُ الله- في مجلسه وبين تلاميذه؛ ويأتي سفيه من السفهاء فيسبُه ويشتُمه ويُقْذِعُهُ بالسَّبِّ والشتم، فيقولُ له طلابُه وتلاميذُه: يا أبا عبد الله؛ رُدَّ على هذا السفيه، قال: لا والله؛ فأينَ القرآنُ إذًا!؟ ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾[3][4].

كان بإمكانه رَحِمَهُ اللَّهُ أن يرد عليه وما مَنَعَ طلابه الانبراء له برد هو ما اعتادوا عليه من علمهم السابق بمنهج الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في عدم مماراة هذا الصنف من الناس امتثالاً لهذه الآية العظيمة!.

(١) البقرة: ٢٠٦.

(٢) ((تدبر القرآن – سعيد عبد العظيم – ص٦.

(٣) الفرقان: ٦٣.

(٤) هكذا علمتني الحياة ٢ – علي بن عبد الخالق القرني

obeikandl.com